

## الفصل الثالث

### السلاح الصاروخي واختلال موازين القوى

كيف  
تفكر  
إسرائيل

المبحث الأول: عملية المساندة الإقليمية.

المبحث الثاني: السلاح الصاروخي .. وموازن  
القوى في الشرق الأوسط.

المبحث الثالث: التطوير الإسرائيلي للسلاح  
الصاروخي.

oboeikandi.com

## المبحث الأول

## عملية المساندة الإقليمية

تحت هذا العنوان كتب د. حامد عبد الله ربيع:

«الإطار الدولي الذي نعيشه في هذه اللحظة ينبئ بتطورات عنيفة، لاتزال العقلية العربية، بل وكذلك القيادات العربية غير واعية بأبعادها الحقيقية. تعودت قياداتنا أن تنظر إلى العالم الخارجى من خلال إدراكها الداخلى. وكما تعودت التعامل فى داخل واقعها السياسى، حيث تسود الجهالة من جانب، والتلق من جانب آخر، فهى تتعامل مع العالم الخارجى.

أضف إلى ذلك ثلاثة عناصر كان لابد وأن تحكم عليها بالفشل الحقيقى:

فهى أولا ترى فى السياسة الخارجية عملية مهارة، ولم تفهم بعد أنها نوع من الاحتراف. فهى ثانيا لاتعترف بالتعاون مع العلماء، وهؤلاء هم فقط من القادرين على فهم حقيقة المجتمعات الخارجية والقوى الكبرى.

وهى ثالثا تتناول جميع المشاكل الدولية بقدر واحد من الأهمية، وليست قادرة على أن تفهم أن هذه المشاكل تتنوع من حيث أهميتها، وهى فى هذا التنوع إنما تنبع من منطق خاص بها، وخاص بالقدرات الدولية.

التطور المعاصر للإطار الدولي بدأ منذ أكثر من عشر سنوات. وقد لفتنا النظر إلى المتغيرات المرتبطة بذلك التطور، منذ أن دُعينا للمشاركة فى وضع خطة لإعادة بناء القوات المسلحة المصرية، ولايزال الرئيس السادات فى أوج قوته. ورغم رفضنا لسياسة الرئيس السادات المتعلقة «بكامب ديفيد»، فقد قبلنا ذلك التعاون، ولكن كان علينا أن نُدرك أن النية الحقيقية لم تكن إلا الاستسلام ونُشر تقريرنا الخاص بالبعد الدولي لإعادة بناء القوات المسلحة فى مصر بدمشق منذ عام 1982. (دار الجليل بعنوان: الأوضاع الدولية والتطور المعاصر للدور الإقليمى للمنطقة العربية).

ومع ذلك لم يشعر به أحد واليوم نعيش أول مظاهر ذلك التطور.

\* العالم المعاصر يعيش أزمة دولية عنيفة، سوف تقود إلى إعادة تشكيل الإطار الدولي

فى القربى العاجل. وفى مدى لن يتجاوز خمسة عشر عاما. ما يعيننا أن نذكر به منذ البداية، أن هذا التطور فى صالح إسرائيل، ولم توجد فى كل تاريخها - تل أبيب - فى وضع أكثر تجانساً مع مصالحتها، كما سوف تجد نفسها خلال الأعوام القادمة. لقد بدأ هذا التطور، وثماره سوف تكون ناضجة فى خلال عدة أعوام. وعلى القيادات العربية أن تُسرِع، بل وأن تسابق الزمن إذا أرادت تحييد ذلك التطور، على الأقل بمعنى ألا يصير ورقة لا تعمل إلا لصالح إسرائيل، فلنبدأ نحدد ملامح التطور.

### عناصر التطور للإطار الدولى:

نستطيع بياجاز أن نقف أمام خمسة عناصر فى هذا التطور العام للإطار الدولى:

**العنصر الأول:** وهو اتجاه الولايات المتحدة للبحث عن أصدقاء جدد بما يعنيه ذلك من تفتت للمعسكر الغربى.

**العنصر الثانى:** انكفاء الاتحاد السوفيتى على مشاكله الداخلية واتجاهه لنوع من العزلة فى النطاق الدولى.

**العنصر الثالث:** التصميم الأوروبى على تعميق سياسة الوحدة، والتوسع فى مفهوم وإطار الوحدة لتشمل أكثر أجزاء أوروبا التاريخية.

**العنصر الرابع:** بناء حائط حقيقى يفصل العالم الأبيض الغنى عن العالم الملون الفقير.

**العنصر الخامس:** خروج دول أمريكا اللاتينية من جانب، ودول جنوب شرق آسيا من جانب آخر من كتلة عدم الانحياز.

نتيجة هذه التطورات المختلفة أن الفقر والتخلف الحقيقى سوف يتمركز فى غرب آسيا والقارة الإفريقية، أى فى العالم العربى، وقد أُلحق به العالم الأسود.

فلنحاول تحليل هذه الأبعاد المختلفة قبل أن نرى كيف وسوف تتعامل معها إسرائيل لتحيلها إلى عناصر قوة فقط لمصالحها.

### التطور المتوقع للعلاقة بين الولايات المتحدة وأصدقائها:

الولايات المتحدة قد بدأت منذ قرابة عشرة أعوام تفقد أصدقاءها، وهى اليوم تكتشف أن صداقاتها لها حدود، وأن لغة المصالح تفرض التعارض. فهى قد فقدت - أو فى سبيلها لأن تفقد - صداقتها مع اليابان، التى ارتفع صوتها لتتحدث عن مجالها الحيوى فى جنوب شرق آسيا. وهى قد فقدت أيضاً مصداقيتها فى دول السوق المشتركة، ويوم تتحد دول غرب أوروبا، وهو أمر لم تعد تبعدها عنه سوى عدة أعوام، سوف تكتشف فى تلك الدول

إرادة استقلال لم تعدها. ودول أمريكا اللاتينية القوية تستعد لطرده واشنطن من أسواق أمريكا اللاتينية.

وإذا كانت الولايات المتحدة تنظر إلى كندا في الشمال، والمكسيك في الجنوب على أنها سوف تصير أدوات للتقوية، فهي تعلم أنها لا بد وأن تغير من سياستها، وألا تنظر إلى العالم نظرة السيادة الإمبريالية، التي عاشتها منذ الحرب العالمية الثانية حتى اليوم، في هذا الإطار تصير إسرائيل صديقاً جوهرياً وأساسياً في تعاملات واشنطن مع العالم الخارجي.

### مشكلة القوميات ... ومستقبل الاتحاد السوفيتي:

كذلك فإن الاتحاد السوفيتي سوف يعيش مأساة أخرى، وهي مأساة القوميات. فالاتحاد السوفيتي هو في حقيقته دولة أسيوية، ورغم أن القيادة الأوروبية والمفاهيم الأوروبية هي التي تسوده. الدولة الروسية التي بدأت في توسعها منذ قرابة قرنين لم تترك أنها تسير ضد التاريخ. وجاءت الإمبراطورية السوفيتية، ورغم ادعائها باليسارية فلم تفعل سوى أن سارت في نفس التوجه الإمبريالي. وكان لا بد من لحظة معينة أن ينفجر ذلك الواقع. الانفجار بدأ أثناء الحرب العالمية الثانية، وحدثت محاكمات انتهت بأحكام بالإعدام، وغطى عليها بستار من التجهيل، ولكننا اليوم نعلم أن حركات المقاومة في كثير من أجزاء روسيا كانت لاتزال قائمة على قدم وساق. حركة المقاومة الإسلامية على أشدها في الجنوب، وحيث يتحدث البعض عن حركة إخوان مسلمين لها فاعليتها. ثم حركة المقاومة الصفراء على حدود الصين الشمالية في منطقة منغوليا، وذلك إلى جانب الاضطرابات العنيفة في دول البلطيق، وبين الأقليات البولندية والألمانية دون الحديث عن عصر الإحياء اليهودي في الاتحاد السوفيتي ليست جميعها سوى مظاهر لحالة تخلخل بدأت ملامحها تبدو واضحة للعيان في الجسد الروسي. هذا التطور الذي ارتبط به تخلخل آخر في الأجزاء المدنية من المجتمع السوفيتي، لا بد وأن يؤدي إلى انكفاء القيادة الروسية على مشاكلها الداخلية. ولنتذكر أن هذا التطور بدأ مع خروشوف، وليس وليد الأمس القريب. وهو سوف يفرض على الاتحاد السوفيتي نتيجة ذات أبعاد ثلاثة:

الأول: عدم الاهتمام أو الانغماس في المشاكل الدولية والخارجية إلا بحذر.

الثاني: الاهتمام بتحييد وتطوير علاقاته بالقوى المجاورة، وبصفة خاصة تلك ذات القوة الفاعلية. وسوف يتضح ذلك بصفة خاصة في حدوده سواء الجنوبية حيث الورقة الإسلامية في إيران، وحوّلها لا بد وأن تفرض عليه القلق.. ثم حدوده الشمالية حيث منغوليا الخارجية

تحن إلى العودة إلى الدولة الأم وهي الصين.

**الثالث:** التوجه نحو مزيد من الحريات فى الداخل، بما فى ذلك حق الهجرة وهو الأمر الذى سوف يفتح الباب واسعاً لتعامل من نوع جديد مع إسرائيل.

### عدم الانغماس الأوروبى فى مشكلة الشرق الأوسط:

**المتغير الثالث** ويرتبط بالتطور الودوى فى القارة الأوروبية.

سَلَّم القيم السياسية فى القارة العجوز قد تغير، بل وقد أُعيد تشكيله فى قمة هذا الهرم يسود مبدأ الوحدة السياسية. لم يعد شعاراً تُردده الصحف أو الإذاعات من أن لآخر؛ بل أضحت القيمة العليا الأولى والثابتة. وهى وحدة بثلاثة مستويات كل منها تقود إلى الأخرى:

**أولاً:** فهناك الوحدة السياسية لدول السوق المشتركة.

**ثانياً:** وهناك الوحدة بين ألمانيا الغربية وألمانيا الشرقية.

**ثالثاً:** وهناك الوحدة بين أوروبا السوق المشتركة، وأوروبا حلف وارسو.

لا نريد أن نطيل فى هذه الناحية، ولكن يكفى أن نتذكر أن من عمالقة التحليل السياسى من يتصور أن هذه الوحدة سوف تقود إلى استيعاب روسيا الأوروبية لتحقيق آمال «ديجول» الراحل.

لانىريد أن نعيش فى الخيالات، ولكن الأمر الذى لاشك فيه أن أوروبا ولفترة غير قصيرة لن يسيطر على مداركاتها سوى أمل الوحدة. وبغض النظر عن حدود هذه الوحدة فإن هذا التطور يعنى مجموعة من النتائج:

**النتيجة الأولى:** أن قطب الجذب لدول السوق المشتركة - ولفترة معينة - لن يكون سوى القارة الأوروبية، لن يعنىها بعبارة أخرى البحر المتوسط إلا فى مرتبة ثانوية، ومن المعلوم أن أقطاباً ثلاثة تعودت جذب السوق المشتركة. الأطلنطى فى الغرب، أو البحر المتوسط فى الجنوب، أو أوروبا الشىوعية فى الشرق. خلال العقد القادم لن يجذب دول السوق المشتركة سوى حلف وارسو.

**النتيجة الثانية:** أن دول أوروبا الغربية سوف تزداد فى تدعيم سياستها بعدم الانغماس فى مشاكل الشرق الأوسط. لايجوز أن نخدعنا المظاهر فهى ليست سوى لغة دعائية. الذى يعنى أوروبا الجديدة هو فقط منطقة المغرب العربى التى سوف تصبح حديقتة خلفية لأوروبا الجديدة.

**النتيجة الثالثة:** وهذا يعنى أنه فى لحظة معينة يتُرك لإسرائيل أن تلعب فى منطقة

الشرق الأوسط، بل وبصفة عامة في حوض البحر المتوسط الشرقي، وابتداء من ليبيا حتى سوريا ولن تتدخل أو تتورط في هذه المنطقة إلا بحساب وحذر.

### العالم الملون وموقعه من كتلة عدم الانحياز:

**العنصر الرابع:** يدور حول علاقة العالم الأبيض بدول العالم غير البيض، العالم الأبيض أضحى يؤمن بأن غير هذا العالم ليس له الحق في الحياة. إنه يتكون من عنا صر أقل قدرة على العنالم الأبيض، وإذا كانت بعض المجتمعات الملونة قد أثبتت قدرتها على التطور والتقدم فهي استثناء. وشعوب العالم الملون الذي يقع ما بين الدول العربية في غرب آسيا والدول الإفريقية السوداء، يجب أن تسرك لمصيرها أنها مسكوم عليها بأن تكرر مأساة الهنود الحمر<sup>(1)</sup>. ومن ثم يجب إقامة سور عظيم يفصل العالم المتقدم الأبيض الغنى<sup>(2)</sup> عن هذه المجتمعات الملونة المتخلفة التي أثبتت أنها ليست أهلا للحياة. أرضها سوف تصير في يوم من الأيام امتداداً للشعوب البيضاء تمرح فيها وتستغل خيراتها، وهنا تبدو إسرائيل كجنوب إفريقيا أدوات حاسمة في ذلك التطور.

**المتغير الخامس** والأخير يدور حول مفهوم عدم الانحياز، هذا المفهوم قد انتهى عصره. وعلى كل فإن دول جنوب شرق آسيا اليوم تدور في فلك الرأسمالية اليابانية. أما عن دول أمريكا اللاتينية فهي تخضع لتطور مماثل، حيث تستعد الدول المسيطرة الكبرى في تلك القارة لتطرد منها الولايات المتحدة. الذي يجب أن نتذكره، الدلالة الخفية خلف هذا التطور، فمن جانب لقد بدأت تظهر إمبريالية جديدة في نطاق دول العالم الثالث، هذه وحدها موضع احترام الدول البيضاء. أما ما عدا ذلك من دول ودويلات فإنها لن يُنظر إليها في القرن القادم، إلا على أنها دول الضعفاء التي سوف تُترك لمصيرها. مفهوم عدم الانحياز أي كتلة قادرة على أن تستقل عن كلا الدولتين الأعظم في معنى حقيقي، والذي أعرضه «شاه إيران» في لحظة قوته، سوف يعود ليسيطر على علاقة بعض الدول الملونة وبصفة خاصة التي ليست في حاجة إلى الدول المتقدمة. ونقصد على وجه الخصوص الصين والهند، ودول جنوب شرق آسيا إلى جانب دول أمريكا اللاتينية، وسوف تسعى إسرائيل لأن تجد لها مكاناً قيادياً في هذه المجموعة.

### الإطار العام للتعامل مع الأسرة الدولية وعزلة إسرائيل:

الذي يعيننا من هذا الإطار العام للتعامل في الأسرة الدولية والمتوقع في نهاية هذا القرن، ابتداء من منتصف العقد القادم، هو أن جميع عناصره سوف تكون لصالح

(1) لقد أباد الأوربيون في أرض العالم الجديد (أمريكا) ستين مليوناً من السكان الأصليين الهنود الحمر.

(2) ومن أجل هذا يتم منع الهجرة من العالم الملون إلى أوروبا.

إسرائيل، سوف ينتهى عصر العزلة الإسرائيلية، لنعيش فترة مختلفة من التعامل الدولى:

أ - فهى سوف تزداد صداقة وترابطاً مع الولايات المتحدة.

ب - وهى سوف تعيد فتح أبواب الحوار الحقيقى مع الاتحاد السوفيتى.

ج - وهى سوف تصير قادرة على ضمان عدم الانغماس الأوروبى فى مشاكل الشرق الأوسط.

د - وهى سوف تزداد قوة فى ترابطها مع جنوب إفريقيا.

هـ - وهى سوف تجد لها شرعية فى مواجهة عملية استئصال أو استغلال شعوب المشرق العربى. كل هذا يفسر خصائص السياسة الإسرائيلية الجديدة والمتوقعة.

#### مفهوم المساندة الدولية والسياسة الإسرائيلية:

وهذا يقودنا إلى التطور العنيف الذى يسيطر على مفهوم المساندة الدولية والإقليمية. لقد سبق أن رأينا المبادئ الست التى تسود سياسة إسرائيل الخارجية فى مواجهة التطور العربى، وحللنا جميع عناصر هذه المبادئ، عدا العنصرين الأخيرين المرتبطين بعملية المساندة الدولية والإقليمية. محور ذلك، أن هذا التطور العام الذى لصالح إسرائيل، تستطيع تل أبيب أن تستغله أكبر استغلال لصالحها، ولتحقيق أهدافها.

من حيث المساندة الدولية، فهى تستطيع أن تخرج من عزلتها، بل وأن تفرض العزلة على المنطقة العربية وبصفة خاصة:

**أولاً:** تدفع المغرب العربى بطرق خفية تارة مباشرة وتارة غير مباشرة، لينصهر فى دائرة أوروبا الغربية ليصير حديقتهما الخلفية.

**ثانياً:** تزيد من ارتباطها الاستراتيجى بالولايات المتحدة؛ بحيث تفرض على واشنطن أن تقدم ثمناً لذلك الترابط الاستراتيجى، والذى لن يكون سوى الهيمنة على منطقة الشرق العربى، بما فى ذلك منطقة الخليج.

**ثالثاً:** تمارس لعبة الإغراء مع الاتحاد السوفيتى، فى مقابل فتح باب الهجرة أمام اليهود السوفييت، الذين يشكلون المستقبل الحقيقى لإسرائيل.

**رابعاً:** تعميق الخلافات بين الوطن العربى المشرقى من جانب، وإفريقيا السوداء من جانب آخر، لتكمل بهذا عملية الإحاطة والتطويق.

على أن الناحية الأخرى الأكثر وضوحاً هى المرتبطة بدورها بمفهوم المساندة الإقليمية، وهى الجديرة بالاهتمام؛ لأنها سوف تكون حاسمة فى تطور التعامل مع منطقة الشرق

الأوسط. وقد بدأت ملامحها واضحة للعيان منذ حرب الخليج. إسرائيل لم تعد تؤمن بأنها فى عالم تسوده العداوات ضد المجتمع اليهودى. هذه النظرة أن لها أن تتغير. على إسرائيل أن تنطلق فى العالم، لتخلق لنفسها المساندة فى كل مكان، يجب أن تقوى نفسها فى مواجهة خصومها العرب، من خلال التعامل مع كل من له مصلحة، من الممكن أن تتفق مع مصالحتها، وهى لذلك لا تتردد فى أن تلقى بشباكها نحو الصين، وسوف نرى ذلك أكثر وضوحاً فيما بعد، وفى موضع آخر، الذى يعيننا أن نتذكره، أنه لم يمنعها من ذلك عدم وجود علاقات دبلوماسية مع بكين، بل والصفعات المتتالية التى تتلقاها من قادة الصين. الذى يعينها هو النتيجة، كذلك مع الاتحاد السوفيتى. الزعيم الجديد وجو التعايش، والوفاق الجديد، يؤهل ويسهل لنوع جديد من التعامل، وذلك دون الحديث عن جنوب إفريقيا.

هذا التصور الجديد يبرز فى صورة واضحة فى أسلوب التعامل مع دول الجوار الإقليمى.

لقد كان المفهوم السائد فى القيادة الإسرائيلية العمالية هو تطبيق مبدأ شد الأطراف. ومن ثم فقد اعتقدت تلك القيادة أن خير سياسة يجب أن تتبع من خلق روابط وثيقة متجانسة أساسها التحالف العدائى الضمنى مع العواصم الثلاث: طهران، أنقرة، أديس أبابا، وهو تحالف تسيطر عليه مبادئ ثلاثة:

**المبدأ الأول:** علاقات ثنائية بين تل أبيب وكل من هذه العواصم الثلاث.

**المبدأ الثانى:** خلق التجانس بين المصالح الإسرائيلية والمصالح الأمريكية فى تلك العواصم الثلاث، بحيث إن العلاقات الإسرائيلية تماثلها وتتوازى معها وفى دول الأطراف علاقات أمريكية.

**المبدأ الثالث:** وهكذا يتم تكتل ثلاثى ضد منطقة المشرق العربى:

- أ - تل أبيب واشنطن طهران، يسمح بخلق تمركز فى مواجهة منطقة الخليج العربى.
- ب - تل أبيب واشنطن أنقرة، يعود إلى تدعيم عنصر جاذب فى شمال منطقة الهلال الخصيب.
- ج - تل أبيب واشنطن أديس أبابا، يحيط بجنوب وادى النيل ويتولى بدوره عملية شد الأطراف.

المتغيرات السابق ذكرها جعلت إسرائيل تعيد النظر فى هذه السياسة وبصفة خاصة

منذ السبعينات وقبل حرب أكتوبر.

### خصائص سياسة المساندة الإقليمية الجديدة:

سياسة المساندة الإقليمية الجديدة تهدف إلى تحقيق أهداف أكثر بعداً. وبصفة خاصة هدفين:

**الأول:** الاستئثار بالتوظيف لصالح الولايات المتحدة من جانب إسرائيل.

**الثاني:** عدم الاكتفاء بشد الأطراف، وتحويل تلك الممارسات إلى بناء إطار يعزل العالم العربى عن عمقه، ودائرته الإسلامية وغير العربية.

ابتدأ ذلك التطور منذ بدأت تبرز أى من الدول الثلاث، وبصفة خاصة إيران كبديل أو مساند لإسرائيل، فى علاقة الولايات المتحدة بتل أبيب. أى من الدول الثلاث تملك وضعاً استراتيجياً متفوقاً لوقورن بإسرائيل، فأيران تتحكم فى الخليج فضلاً عن أنها تمتد لأكثر من ألف وخمسمائة كيلو متر جنوب الاتحاد السوفيتى. وتركيا لديها المضائق، فضلاً عن أنها المقدمة الحقيقية لحماية القواعد الأمريكية فى منطقة الخليج. والحبشة هى صاحبة الكلمة الأولى فيباب المندب، ومن ثم فى عملية الاتصال بين البحر الأحمر والمحيط الهندى. كيسنجر من جانب آخر قد بدأ يوسع فكرة الأعمدة المتعددة لمساندة النفوذ الأمريكى، حيث لاتصير إسرائيل هى السند الوحيد، وهكذا برزت فكرة تحويل قبرص إلى قاعدة أمريكية، وأكد ذلك الإدراك ما يمكن أن تقدمه شبه جزيرة سينا، من إمكانيات استراتيجية، ومنذ ذلك التاريخ بدأت إسرائيل تعيد النظر فى استراتيجيتها.

لم يعد أساس استراتيجيتها فقط شد الأطراف، وإنما عزل المنطقة من جانب وشل وظيفة مصر الإقليمية من جانب آخر. كلاهما وجه آخر لعملة واحدة محورها رغبة إسرائيل ليس فى الدفاع عن نفسها، وإنما فى الهيمنة على منطقة الشرق الأوسط فقط لصالحها.

أ - فهى تسعى لأن تصير السند الوحيد للولايات المتحدة فى المنطقة. وهى لذلك عقب مجيء ليكود إلى السلطة، ويتوافق تام مع فلسفة تسيير فى هذا الاتجاه بأدلة مادية تناوئ أى قوة إقليمية تنظر إليها واشنطن بعين الرضا. حادثة ضرب المقاومة فى تونس، ثم قتل رجلها الثانى أيضاً فى تونس، كانت موجة لواشنطن لتثبت القدرة والفاعلية، بل وهناك معلومات غير مؤكدة عن ضرب الأسطول الجزائرى أيضاً من جانب الطيران الإسرائيلى. الولايات المتحدة فى استراتيجيتها الجديدة تعتمد أساساً على إسرائيل، كأداة فى التعامل، ليس فقط مع المنطقة، بل وانطلاقاً من المنطقة.

ب - وهي لذلك - أى تل أبيب - تعمل بثبات على إضعاف علاقات واشنطن بأى من هذه الدول الثلاث، بدأتها بالحبشة حيث لعبت الورقة اليسارية دورها، ثم أعقبت ذلك بإيران حيث لعبت الورقة الإسلامية أيضاً دوراً مماثلاً. بل إن العملية نفسها فى صورة أقل وضوحاً تمت فى تركيا، وخصوصاً بتشجيع إنتاج القطن الذى سوف يُحيل هذه الدولة إلى منافس له وزنه مع السوق الأمريكية.

ج - وهي تريد أن تجعل من هذه الدول الثلاث أدوات مساندة لها فى التدخل فى منطقة المشرق العربى، الحبشة فى قرن إفريقيا وبصفة خاصة فى وادى النيل، تركيا فى كل من العراق وسوريا بل إن هناك حزباً تركياياً يطالب اليوم علانية بضم بعض أجزاء شمال العراق. وإيران فى منطقة الخليج. إنها تقدم بهذا الشكل لتحركها الاقتصادى وتعد لغزو المنطقة، بل ولما يمكن أن يسمى تقسيم مناطق نفوذ فى هذه المنطقة ولو خلال مرحلة معينة.

د - وهي تسعى لخلق صلة وثيقة بين العواصم الثلاث: طهران وأنقرة وأديس أبابا، وهو ما نسماه تحالف الأعداء، أنه مقدمة لخلق إطار يحيط المنطقة العربية، ويحصر المشرق العربى، بين كماشة ضخمة تمتد من أقصى الشرق إلى الشمال والجنوب. إنه مقدمة لتقسيم الأسلاب من جانب ومنع هذه المنطقة من التواصل مع محيطها الإسلامى الطبيعى من جانب آخر.

هـ - وهي تجعل هذا النفوذ وسيلتها لتقفز إلى ما هو أبعد. فأيران مقدمة للقفز إلى أفغانستان وبصفة خاصة الباكستان، حيث تُحدثنا آخر الأخبار عن تعاون خفى نووى بدأت ملامحه بين دولة القنبلة الإسلامية وإسرائيل، وأديس أبابا مقدمة للقفز إلى المحيط الجنوبى، وبصفة خاصة زائير من جانب، وأوغندا من جانب آخر، حيث تستطيع أن تشل وتحاصر مصر فى إفريقيا.

و - وهي تُعد أيضاً لما بعد عصر توزيع الأسلاب، عندما يقدر لها أن تنجح فى تصفية الوجود العربى، بأن تحيله إلى كيانات هشة بمعونة هذه الدول الثلاث فتنجّه إلى تلك الدول بدورها تمارس فى داخلها نفس اللعبة التى مارسها فى الأرض العربية. ولكن هذا لا يزال فى طى الخفاء، وإن كانت بعض ملامحه بدأت تعبر عن نفسها محاولة الشيعة للثورة فى تركيا بمساعدات إسرائيلية، دفع بعض القوى فى إيران لرفض الاستمرار فى التعتن ضد العراق، تشجيع الأكراد سواء فى تركيا أو إيران، كذلك تشجيع حركات انفصالية فى الحبشة: جميعها حوادث تُنسب إلى أجهزة مخابرات إسرائيلية دون دليل قاطع، ولكنها لو

صحت فهي تُعد لما بعد عصر التفتت للمشرق العربي.

### شل دور مصر الإقليمي وجوهر السياسة الإسرائيلية:

المتغير الأساسي والحقيقي في كل هذا الإدراك، هو تفريغ المنطقة الممتدة من حوض وادي النيل حتى باكستان، من أي قوة قادرة على أن تنازع تل أبيب الهيمنة والسيادة. شل دور مصر الإقليمي بكل ما تعنيه هذه الكلمة هو المقدمة. ومن ثم فإلى جانب تفريغها من عناصر القوة وعزلها عن محيطها العربي والإسلامي؛ بحيث يصير حصارها في كل موضع تعودت أن تمارس في إطاره أي وظيفة قيادية يصير منطلقاً طبيعياً لأعمال عملية التخريب. وإذا كانت سياسة «مناحيم بيجن» لم تستطع تطويع الإدارة المصرية من الداخل، وتطبيع علاقاته مع وادي النيل، فإن سياسة خلفائه التي أساسها هو العمل على شل القدرة والفاعلية المصرية بأى معنى من معانيها هو منطلق آخر لتحقيق نفس الهدف.

وهنا يتقدم التطور العام للإطار الدولي ليساند إسرائيل في هذه السياسة، فهل سوف نقف عاجزين إزاء مثل ذلك التطور بشقيه؟ دولي ضد مصالحنا، وإسرائيلي للقضاء على وجودنا؟

سؤال يجب أن نتصدى للإجابة عليه.

## المبحث الثاني

السلاح الصاروخي ..  
واختلال موازين القوى

تحت هذا العنوان كتب حامد ربيع:

«العامل الاستراتيجي رغم صعوبته ودقته، ورغم حاجته إلى نوع من الفن والحساسية التي لا يستطيع العلم أن يصوغها، إلا أن قواعده واضحة وصريحة، نستطيع أن نصوغ تلك القواعد في ثلاثة:

**الأولى:** المعرفة بالعدو.

**الثانية:** التجانس في مراتب التعامل.

**الثالثة:** التخطيط المسبق وبالذقة الكافية في كل عناصر الموقف، أحد أسباب النجاح الإسرائيلي هو احترام هذه القواعد.

**القاعدة الأولى:** والتي تعنى المعرفة بالعدو، ليست بالجديدة: منذ أقدم العصور، نجد الاستراتيجي أو القائد العسكري، يبت جواسيسه بين خصومه، يجمع عنهم المعلومات الدقيقة والكافية.

من القصص التي تروى بهذا الخصوص: أن فرنسا عندما فكرت في غزو مصر أرسلت أحد رجالها الذي قضى في وادي النيل أكثر من ثلاثة أعوام، ليجمع كل ما يستطيع أن يسجله عن البلاد (\*) وعن أهلها، جمعت عقب ذلك في مؤلف ضخّم لا يزال موجوداً في المكتبة الوطنية بباريس، يتكون من ثلاثة مجلدات، كذلك فإن نابليون كان يقضى أياماً كاملة قبل أى معركة في دراسة شخصية القائد الذي سوف يتعين عليه أن ينازله.

هذه العملية - أى عملية جمع المعلومات - أضحت اليوم أكثر سهولة من جانب، وأكثر صعوبة من جانب آخر، سهولتها في أن المعلومات المنشورة والمتداولة كافية ولو في نطاق

(\*) كتاب «قراءة في فكر علماء الاستراتيجية - الكتاب الرابع - الاستعمار والصهيونية وجمع المعلومات

عن مصر. د. حامد عبد الله ربيع.

معين للمعرفة بالعدو، ولكنها أكثر صعوبة بسبب ضخامة الكم من المعلومات المتوفرة. الأمر الذى يجعل الحاجة إلى تنظيمها وتنسيقها أمراً شاقاً ومرهقاً، أضف إلى ذلك أن هناك قسماً من المعلومات فى حاجة إلى أدوات من نوع معين، ليس من السهل توفرها وبصفة خاصة فى البلاد المتخلفة، نقصد بذلك ما يسمى بالمبررات من جانب والمعلومات الأمنية من جانب آخر، الملاحظة العامة على إسرائيل أن أجهزتها المعلوماتية تعتبر نموذجاً متقدماً جديراً بأن تحتذى به نفس الدول الكبرى والمتقدمة؛ هى قد وصلت إلى ذلك بفضل عناصر ثلاثة:

**الأول:** اهتمامها بالأجهزة المتقدمة لجمع وحفظ واسترجاع المعلومات، منذ بدء وجودها منتفعة فى هذا بتقاليد الحركة الصهيونية.

**الثانى:** امتلاكها لسلاح مخبرات متقدمة، منتفعة فى هذا أيضاً بوجود يهود مواطنين منتشرين فى جميع أنحاء العالم، وهم قادرين على أن يؤدوا بهذا الخصوص خدمات لا يستهان بها، بحيث يمكن القول دون مبالغة أنها تمتلك طابوراً خامساً فى كل دول العالم، وأغلبها وبصفة خاصة فى دول العالم العربى، ورغم أن عدد اليهود فى الدول العربية قد قل كثيراً عما كان الأمر عليه من قبل، إلا أن هذا العدد القليل كاف لأن يؤدى وظيفة خطيرة فى موضوع جمع المعلومات.

**الثالث:** التعاون الوثيق بين الأجهزة الإسرائيلية وبعض أجهزة العالم المتقدم، وبصفة خاصة وكالة المخبرات الأمريكية، وتلك التابعة لحلف الأطلنطى، وهو تعاون يمكنها من الحصول على معلومات دقيقة لاتتوافر لها، كما أنه يمكنها من التنسيق الحركى مع تلك الأجهزة، بحيث يمكن القول بأن كل ما تحصل عليه تلك الأجهزة من معلومات هى تحت تصرف تل أبيب.

**القاعدة الثانية:** واضحة وليست فى حاجة إلى تفصيل.

**القاعدة الثالثة:** تنقلنا إلى صميم العمل العسكرى، سبق وتعرضنا لذلك بخصوص مراتب التحرك الاستراتيجى، لا نريد أن نعيد ما سبق وذكرناه، ولا نريد أن نخرج عن موضوعنا فى أضيق نطاق، وبصفة خاصة فى علاقة الاستراتيجيات الثلاث المتتابعة، لابد من بعض الإيضاح، سبق وذكرنا أن أى استراتيجية تملك ثلاثة مستويات:

**الأول:** المستوى الذى يُسمى عادة بالاستراتيجية العليا، حيث تتبلور أهداف السياسة القومية التى يجب أن تسيطر على توجه المجتمع الداخلى والخارجى، ولو فى فترة معينة، وحيث تتحدد تلك الأهداف بوضوح، وترتيب تصاعدى واضح، ثم تُعقَّب هذه الاستراتيجية العليا تلك العسكرية التى هى فى جوهرها صياغة عسكرية للاستراتيجية العليا، أى هى

بعبارة أخرى كيف تستطيع الأداء العسكرى، أى أداة العنف المنظم، أن تحقق تلك الأهداف من خلال القتال، وهكذا هذه الاستراتيجية هي التي تُحدد متى يجب أو يتعين علينا أن نقاتل.

الاستراتيجية القتالية تأتي فى مرتبة ثالثة، لتجيب على السؤال الجوهرى: كيف يجب أن نقاتل؟ السلاح الأمثل، الموقع الأصلى، الأسلوب الأكثر فاعلية، بل ويدخل أيضا فى هذا النطاق عملية اختيار القائد الأكثر استعدادا للتعامل مع مجموعة هذه التساؤلات، هكذا نجد أنفسنا أمام ثلاثة استراتيجيات متتالية:

استراتيجية عليا، استراتيجية عسكرية، استراتيجية قتالية، ما يجب أن نتذكره أن هذه الاستراتيجيات الثلاث يجب أن تملك تناسقا كاملا، وأن علاقة التناسق يجب أن تكون مطلقة لاحتمل أى نوع من أنواع التناقض أو التعارض.

هذا هو أحد عناصر قوة إسرائيل، وهو عنصر ثابت فى جميع مراحل التاريخ اليهودى مع مشكلة الشرق الأوسط، ومنذ وجود الدولة اليهودية، وسوف نتلمس مظهرا آخر من مظاهر ذلك الترابط فى التعامل القتالى، وتوظيف مختلف الأسلحة التى تمتلى بها الترسانة الإسرائيلية. لقد توقفنا أمام الاستراتيجية القتالية فى موضعين: السلاح النووى من جانب، والسلاح الكيمائى والجرثومى من جانب آخر، وليكتمل ذلك علينا أن نطرح السلاح الصاروخى وموضعه، من حيث التوظيف فى الفكر العسكرى الإسرائيلى.

ولنحدد عناصر ذلك الإدراك:

**أولاً:** السلاح الكيمائى والجرثومى. هو رأس الحربة أو المحور الأساسى فى التعامل مع منطقة الشرق الأوسط.

**ثانياً:** السلاح النووى هو أداة إسرائيل الإقليمية، تقوم على فكرة العزل والتطويق فكذا نجد أن سياستها العسكرية تتبع من نفس المبدأ، وسوف تستخدم السلاح النووى أدواتها فى ذلك.

**ثالثاً:** أما السلاح الصاروخى: فهو قوتها فى تحطيم القدرة الهجومية لدى الدول العربية. كيف ذلك؟ هذا هو السؤال الذى يجب أن نحاول الإجابة عليه.

**القدرة النووية الإسرائيلية:**

قبل أن نواصل هذا التحليل، يجب أن نحدد بصورة دقيقة، القدرة النووية الإسرائيلية وخصائصها، المتغيرات التى تتحكم فى نوعية وخصائص السلاح النووى الإسرائيلى  
ثلاثة:

**أولاً:** سيطرة القنابل الصغيرة، أى القنابل النووية التكتيكية، وقد سبق وذكرنا خصائصها، وكيف أنها قَلَبَتْ رأساً على عقب جميع خصائص التعامل الاستراتيجى مع المنطقة لماذا؟ ولماذا لن تتعامل إسرائيل مع المنطقة من خلال القنابل الكبيرة أو المتوسطة الحجم؟

1 - توزيع الأهداف فى منطقة الشرق الأوسط التى سوف تكون مسرحاً للعمليات ومن ثم، فامتلاكها لعدد كبير من القنابل الصغيرة سوف تُمكن تل أبيب من إصابة العديد من الأهداف على تلك الرقعة الممتدة من العراق حتى ليبيا.

2 - كذلك فإن قذف القنابل أكثر سهولة بل وهو أكثر دقة.

3 - وهى أقل تكلفة، حيث إن نفقات قنبلة متوسطة، تساوى نفقات ثلاث إلى أربع قنابل صغيرة.

4 - وذلك إلى جانب أن القنابل الصغيرة ليست فى حاجة إلى إجراءات تفجير، وهو أمر يجعل إسرائيل تملك استقلالاً معيناً حتى فى تعاملها مع جنوب إفريقيا.

5 - وأخيراً فإنها - هذه القنابل - محدودة القدرة، من حيث الإشعاع وبصفة خاصة لو أُطلقت من ارتفاعات عالية، وهو ما يجعل إسرائيل مطمئنة ولو نسبياً بحيث أن هدفها الأساسى يتحقق دون أن تخضع لمخاطر غير محسوبة.

ثانياً: أما عن عدد القنابل الصغيرة التى تملكها إسرائيل حالياً، فإنه طبقاً للتقارير المتداولة وبصفة خاصة عقب تسريب المعلومات من جانب الخبير الإسرائيلى «فانونو» التى أخضعت لتحليل عميق من جانب المتخصصين، وكذلك بناء على تقارير وكالة المخابرات الأمريكية فإن إسرائيل تملك حتى عام 1986 ما بين مائة قنبلة إلى مائتين من الحجم الصغير، الذى لا يتجاوز وزنه 2.5 كيلو جرام، وقد لا يتعدى فقط 2 كيلو جرام، وإن إسرائيل قادرة منذ ذلك التاريخ على إنتاج من قنبلتين إلى ثلاث سنوياً.

**ثالثاً:** هذه القنابل مفككة وهى بحاجة إلى تركيب، عملية التركيب هذه فى حاجة إلى 72 ساعة، هذا التصور يستند إلى المعلومات التى توفرت لدينا عن موقف إسرائيل أثناء حرب الأيام الستة، ولكنه لا يوجد ما يمنع من أنه عقب ذلك تم تركيب بعض هذه القنابل بحيث تصبح صالحة للاستخدام النووى، وبصفة خاصة عقب ضرب المفاعل النووى فى بغداد.

**رابعاً:** هذه القنابل مُخزّنة فى أقبية تحت الأرض، فى موقع قريب من مفاعل ديمونا أو تحت نفس المفاعل. والواقع أن هذا خير موقع لتخزينها؛ سواء لأن صحراء النقب أفضل مكان فى إسرائيل، بعيد عن أعدائها، سواء لأن هذه الصحراء مكان غير مسكون، ومن ثم تصير مكاناً مثالياً لتخزين الأسلحة النووية، بحيث أن الخسائر لو حدث انفجار تكون

محدودة، وسواء لأن التدابير الأمنية فى ذلك المكان أكثر سهولة وأكثر فاعلية.

### السلاح الصاروخى وموازن القوى فى منطقة الشرق الأوسط:

السلاح النووى يطرح من أوسع أبوابه السلاح الصاروخى. والواقع أن حرب لبنان التى لا نزال نعيش أحداثها، وقبل ذلك حرب الخليج، أفرزت الكثير من المعطيات الجديدة وبصفة خاصة بالنسبة للقدرات العربية الصاروخية، التى لا بد وأن يدخلها، وأن يستوعب دلالاتها الفكر العسكرية الإسرائيلى، ورغم أن إسرائيل هى التى كانت أول من أدخل السلاح الصاروخى فى المنطقة، إلا أن تتابع الأحداث خلال الفترة الأخيرة سواء أثناء الجولات التى شاهدناها فى حرب المدن بين إيران والعراق، وسواء المتعلقة بالعلاقات المصرية الأمريكية، وما ارتبط بذلك من اتهامات ومحاكمات قاد المنطقة إلى وضع جديد يستحيل تصور أبعاده المختلفة، وبصفة عامة من حيث التوازن الفعلى بين الطرفين المتصارعين إسرائيل من جانب، والجانب العربى من جانب آخر.

تحليل السلاح الصاروخى فى المنطقة، يقود إلى نتائج معينة نطرحها منذ البداية ونحاول التعامل الفكرى معها، كما يتصور الإدراك الإسرائيلى:

**أولاً:** إن السلاح الصاروخى يعكس حالياً وفى المستقبل حالة عدم التوازن فى المنطقة لصالح الجانب العربى.

**ثانياً:** إن إعادة التوازن تفترض تطوير سلاح إسرائيلى مضاد للصواريخ العربية.

**ثالثاً:** وأنه لمواجهة هذا الواقع، يجب أن تكون المعركة الإسرائيلىة القادمة (\*) وقد اتصفت بعنصرى المباغتة من جانب، وبالعنْف إلى أقصى حدوده من جانب آخر. فلنقتصر مؤقتاً على تحليل العنصر الأول.

### القدرة الصاروخية واختلال موازين القوى فى منطقة الشرق الأوسط:

جميع الخبراء العسكريين يجمعون على أن الحرب القادمة بين إسرائيل والعالم العربى سوف يتحكم فيها السلاح الصاروخى، ورغم أن حرب الخليج لم تنته بعد، لأن إيقاف إطلاق النار لا يعنى انتهاء الحرب، فضلاً عن أن جميع المعلومات المتوفرة تؤكد أن إيران لم تستسلم حقيقة، وهى تحيل أرضها إلى ترسانة مسلحة، وتواجهها العراق بالمثل إلا أن النتائج التى أفرزتها تلك الحرب، وما سبقها وما صاحبها من أحداث، وبصفة خاصة خلال العام الأخير من القتال، يسمح برسم صورة واضحة للواقع الذى تشهده المنطقة، والذى قد

(\*) «قراءة فى فكر علماء الاستراتيجية»: الجولة العربية الإسرائيلىة السادسة لواء أ.ح.د. فوزى محمد طایل. ضمن سلسلة نحو وعى سياسى واستراتيجى وتاريخى - الكتاب الأول. إعداد د. جمال عبد الهادى مسعود. الشيخ عبد الراضى أمين.

تشهده خلال الأعوام القادمة ولنحدد العناصر:

**أولاً:** فالعراق عاش فترة من التردى النفسى الى أن بلغ بأهل بغداد فى لحظة معينة إلى الإحباط، الذى عاشه كل من عاصر الفترة التى انهالت فيه على العاصمة العراقية الصواريخ، ورغم قلة عدد الضحايا والخسائر الحقيقية، وكان مرد ذلك الضرب المتواصل بالصواريخ الإيرانية.

**ثانياً:** إن الآفة لم تنقلب وفجأة إلا بسبب سلاحين: أولهما: الصواريخ العراقية التى لم تترك بقعة فى إيران دون أن تنالها، والتى أحالت طهران طبقاً لما أوردته الصحافة المحايدة إلى مدينة أشباح، **والسلاح الكيمى** الذى سمح للعراق بأن تواجه الكم الإيرانية فى ساحة القتال.

**ثالثاً:** إن قبول إيقاف إطلاق النار لم يكن بسبب القوة الحقيقية للجيش العراقى بمعناه المهنى، ولكن نتيجة للاستخدام الجيد والمفاجئ لهذين السلاحين: الصواريخ من جانب، والكيمى من جانب آخر، وما أحدثه كلاهما من آثار نفسية مخيفة كان لا بد وأن تنتج بدورها آثارها العنيفة على رجل الشارع، وعلى المقاتل فى آن واحد، وبصفة عامة على إرادة الصراع.

**رابعاً:** إن أحد أخطاء القيادة العراقية أنها لم تستغل ذلك، سواء لاختراق إيران وتغيير نظام الحكم، أو للاستيلاء على (عبدان) وجعلها ورقة أساسية فى الضغط على القيادة الإيرانية للإبقاء على الحقيقى للقتال.

السلاح الصاروخى قلب رأساً على عقب موازين القوى بين العراق وإيران، وهذا ما يعترف به كل من تابع قصة حرب الخليج، كذلك فإن خبرة سلاح الصواريخ فى لبنان، تملك مذاقها الذى لانزال نعيش نتائجه، وإذا كانت بعض القوى اللبنانية تقف تتحدى الجيش السورى، فإن السبب الحقيقى يعود إلى هذه القدرة الصاروخية، رغم محدودية القدرة اللبنانية، فى مواجهة الفاعلية السورية، بل إن البعض يتحدث عن خطورة هذه القدرة فى التعامل مع إسرائيل، قد يكون هذا مبالغة لتبرير شرعية المؤازرة للعناصر المارونية، ولكن الأمر الذى لا شك فيه، أن عنصر المواجهة مع دمشق يتحكم فيه بصورة قاطعة هذا المتغير، فهل كان ذلك سبباً للموقف الإسرائيلى من إعلانها عدم الاستعداد لأى تورط فى الصدام بين دمشق وبيروت غير المسلمة؟ وهل سوف تترك إسرائيل هذا الدرس بدوره دون تحليل لنتائجه.

**السلاح الصاروخى والإمكانيات العربية:**

قبل أن نحاول التحديد الكمى للسلاح الصاروخى فى الجانب العربى، يجب أن نلاحظ

منذ البداية كيف أن العالم الصناعى المتقدم، والذي يملك القدرة الحقيقية على إنتاج الصواريخ، يقف من الطرفين المتنازعين أى إسرائيل من جانب، والعالم العربى من جانب آخر - موقفا غير محايد؟ ورغم أن إسرائيل هى أول من أدخل سلاح الصواريخ فى المنطقة، تجد أن الدول الصناعية السبع دون استثناء اليابان تقف من إسرائيل ليس موقف المحاييد؛ بل موقف المشجع على عملية التوسع والتقدم فى إنتاج واستخدام السلاح الصاروخى فى مواجهة الموقف الراض لل دول العربية.

هذه الدول السبع سواء علانية أو بطريق غير مباشر، تقيم جميع العقبات والعراقيل ضد الدول العربية فى امتلاك السلاح الصاروخى، سواء عن طريق الشراء أو الإنتاج الذاتى. وقد وصل الأمر إلى اتفاق جنتلمان فى عدم تقديم لأى دولة عربية أى مساعدة تكنولوجية، أو فنية مرتبطة بإنتاج الصواريخ بين الدول الصناعية السبع، وكانت النتيجة الطبيعية لذلك هو اتجاه الدول العربية للاتحاد السوفيتى من جانب، ولبعض الدول المتخلفة حيث إن هذه الصناعة وصلت مستوى معيناً من التقدم، وهذا يعنى أن العالم العربى فى وضع غير مثالى بالنسبة لنوعية السلاح، فما يملكه أقل من حيث المستوى من مثيله الذى تحت تصرف العسكرية الإسرائيلية.

**الملاحظة الثانية:** والمرتبطة بتلك الأولى، تدور حول انتشار سلاح الصواريخ فى منطقة الشرق الأوسط، لقد أضحى من المعلوم أن هذه المنطقة يوجد بها عدد مخيف من الصواريخ، بل وبعضها على درجة عالية من التقدم. ورغم أنه لا يمكن تحديد عدد هذه الصواريخ بدقة إلا أنه من المسلم به أنه توجد فى البلاد العربية المحيطة بإسرائيل بما فى ذلك ليبيا وحدها حوالى (ثلاثة آلاف صاروخ) وأن هذه الدول: مصر والعراق والكويت والسعودية وسوريا ثم ليبيا تملك حوالى (300 منصة إطلاق صواريخ) هذه الصواريخ يمكن تصنيفها بالشكل التالى:

**أولاً:** الصواريخ غير الموجهة، والتى يتراوح مداها بين 40 ، 70 كيلو متر وتعرف بفروع 7، هذه الصواريخ سوفيتية الصنع، وتوجد فى كل من العراق ومصر والكويت وسوريا واليمن الجنوبي وليبيا. كذلك فإن البرازيل زودت بعض دول المنطقة بصواريخ مماثلة (استروس 2) وهى من نفس النوع، ولكنها لا تتجاوز من حيث المدى (40 كيلو متراً) خطورة هذه الصواريخ بصفة خاصة، تبدو لو استخدمت من الأردن حيث تصير قاتلة.

**ثانياً:** ثم هناك صواريخ البعيدة المدى التى تحمل أجهزة توجيه، أهم هذه الصواريخ المتوفرة فى المنطقة، الصاروخ السوفيتى المعروف باسم (21 اس اس) والتى تم تزويد سوريا به، فى حدود (مائة صاروخ)، كذلك الصاروخ الصينى (D.T.3) والذي يتفوق على الصاروخ الروسى من حيث مداه، حيث يصل الصاروخ الصينى إلى (ألفى كيلو متر) بينما

يصل الصاروخ الروسى إلى فقط (300 كيلو متراً) ولكنه لايتفوق عليه من حيث دقة التصويب، بل العكس حيث إن الصاروخ الروسى يستطيع أن يصيب الهدف فى إطار (خمسين متراً) بينما الصينى يقع على بعد من (2 كيلو متراً إلى ثلاثة كيلو مترات) من الهدف.

**ثالثاً:** السباق على التسليح الصاروخى، لايقف عند ذلك الحد، فقد ذكرت مجلة نيوزويك فى عددها بتاريخ 1988/6/21 أن سوريا طلبت من الصين تزويدها بصواريخ (أم - 9) التى يتراوح مداها ما بين (600 إلى 800 كيلو متراً)، ورغم النفى القاطع من الجانبين فإن الذى نعلمه على وجه اليقين أن السعودية قد وصلتها فعلاً. من بكين صواريخ (ريخ الشرق: دى ت - 3)، والتى تستطيع أن تصيب أى بقعة فى إسرائيل.

**رابعاً:** على أن أخطر ما يعنيه السلاح الصاروخى، هو البرامج التطويرية الضخمة التى تعرفها جميع البلاد العربية تقريبا، بخصوص امتلاك القدرة الصاروخية المحلية والقادرة على الإنتاج الذاتى للصاروخ، ولو بمساعدة بعض دول العالم الثالث، فمصر تساهم فى ثلاثة برامج منفصلة، أحدها بالاشتراك مع الأرجنتين لتطوير صاروخ مداه (900 كيلو متراً) وهى كذلك بالاشتراك أيضاً مع الأرجنتين والعراق، تعمل على تطوير صارخ (كوندور - 2) الذى يبلغ مداه 800 كيلو متراً. والعراق يملك برنامجين أديا إلى إنتاج صاروخ الحسين بكفاءة (650 كيلو متراً) ثم العباس الذى وصل (900 كيلو متراً) والحديث عن تعاون مكثف بين العراق ومصر والبرازيل، بل وكذلك الأرجنتين بهذا الخصوص، تتداوله جميع مصادر المعلومات، لبيبا بدورها تملك برنامجاً آخر لتطوير صاروخ صغير بالتعاون مع الأجهزة الفنية فى ألمانيا الغربية، بل والحديث عن برنامج مصرى مستقل لتطوير صواريخ متوسطة المدى، كان سببا فى كشف بعض مراكز التجسس لصالح القاهرة فى واشنطن، انتهت بالتخلص من وزير الدفاع المصرى أمر تلوكه الألسنة.

مخاطر التسليح الصاروخى العربى وإسرائيل:

التسليح العربى (الصاروخ) هو أحد المتغيرات الأساسية التى تدخلها العسكرية الإسرائيلية فى اعتبارها، ومن ثم فى بنائها لخطتها فى التعامل مع المنطقة، بل وهى تشير حولها ضجة لاتقل عن تلك المفتعلة بخصوص كلا السلاحين الكيمايى والجرثومى. لماذا هذه الضجة؟ التى فى بعض الأحيان تكاد تكون مفتعلة؟ ولماذا هذا الجهد الدبلوماسى المكثف بحيث تفرض بأسلوب أو بأخر على جميع الدول الصناعية الامتناع عن تقديم أى مساعدات بهذا الشأن، بينما إسرائيل نفسها قد استطاعت أن تبنى لنفسها ترسانة صاروخية، سواء من خلال الإنتاج المكثف، أو باسم اتفاقية التعاون الاستراتيجى، حيث

الترسانة الأمريكية قد جعلت من أرضها مخزناً ضخماً لذلك السلاح.

### الأسباب عديدة ويكفى أن نذكرها بإيجاز:

**أولاً:** إنه سلاح سهل التصنيع نسبياً، فهو لا يفترض تلك المشاكل التي تفرضها القنبلة النووية، وهو كذلك إن لم يكن من السهل تصنيعه، فإن السوق الدولي للسلاح عامر به، ومن ثم فالوصول عليه بغض النظر عن تكلفته لا يمثل أى صعوبة، وقد أثبتت ذلك حرب الخليج، جميع أنواع الصواريخ متوفرة، ولمن يستطيع الدفع، وسماسة السلاح يتولون عملية الوساطة، برنامج ناصر منذ أكثر من عشرين عاماً، والذي كان يهدف إلى تزويد مصر بسلاح صاروخي متقدم، وقد كان قادراً على ذلك. لم يمنع من تحقيقه إلا سوء اختيار الأشخاص الذين تولوا المسؤولية.

**ثانياً:** وقد أثبتت دول العالم الثالث أنها قادرة على التصنيع، وتزويد السوق الدولي للسلاح بأكثر من نموذج واحد، هذه الدول هي التي تعيش مأساة المديونية، وهي التي فى حاجة إلى بيع هذا السلاح، وهي لذلك تقدم بسعة صدر وإلحاح على التعاون مع الدول العربية بشأن تسليحها بهذا السلاح، أو التعاون بقصد خلق صناعة محلية قادرة على التصنيع الذاتى. الثابت اليوم أن عملية تصنيع السلاح الصاروخي، دخلت مرحلة متقدمة فى العراق ومصر، وبصفة خاصة بالتعاون مع البرازيل والأرجنتين.

والخطورة الحقيقية هي بالنسبة للصواريخ القصيرة المدى، وهي التي تحتاجها الحرب القادمة ضد إسرائيل، أن صاروخاً مداه (مائة كيلو متر) كاف لو وجد بكثافة معينة أن يحقق جميع الأهداف، من قتال تشنه الدول العربية على الدولة اليهودية بما فى ذلك تدمير السلاح النووي المكس في إسرائيل، وسوف نعود لذلك لاحقاً، الذى يجب أن نتذكره أن هذا والسبب الرئيسى فى رفض أى تنازل بالنسبة للصفة الغربية، وقد حللنا ذلك سابقاً وسوف نعود إلى هذه النقطة بالذات بتفصيل أكبر فيما بعد.

**ثالثاً:** أضف إلى ذلك أن الصاروخ وبصفة خاصة القريب المدى، من السهل إخفاؤه قبل استخدامه، بل ويعد استخدامه، فهو متنقل وبصفة خاصة من الممكن بخصوصه إجراء عمليات تمويه عديدة، الأمر الذى يجعل الجانب العربى فى موقف القوى، بسبب حدوده الطويلة مع إسرائيل، بشرط أن يكون هو البادئ بالقتال، و صاحب المبادرة، وسوف نرى ذلك أيضاً تفصيلاً فيما بعد.

**رابعاً:** وأخطر ما يثيره السلاح الصاروخي هو إمكانية تزويده برؤوس مدمرة، بما فى ذلك الرؤوس الكيميائية والجرثومية، بل والأخبار المتسرية تحدثنا عن أن مصر تنتج صاروخاً (صقر 8) الذى مداه (ثمانون كيلو متراً) والقادر على حمل ذخائر عنقودية، ومن الثابت أيضاً أن سوريا تملك مصنعا متقدماً قادراً على إنتاج رؤوس كيميائية من الممكن

استخدامها ضد المدن، وهنا تكمن حقيقة الخطورة التي يمثلها الصاروخ كما تجلى فى حرب العراق وإيران، فهو سلاح نفسى بالنسبة للمدن وسكانها وهو سلاح لا يمكن إزاءه اتخاذ أية تدابير احترازية على مستوى المواطن، أنه يفرض مفهوم الأمة المقاتلة وهو سلاح ولو ضمن تكراره بشكل معين، وبدقة معينة من حيث التصويب، وهى أمور جمعها متوفرة فى الجانب العربى بالنسبة للصاروخ القريب المدى، قادر على أن يفرض الاستسلام للمجتمع المدنى قبل العسكرى دون الحديث عن إمكانياته الرهيبة التدميرية.

### التخطيط الإسرائيلى والتعامل مع الموقف:

كأى عقلية تقوم فى تعاملها على التخطيط، فإن إسرائيل لا بد وأن تعمل على تحييد هذا السلاح، وهى من ثم تجعل تخطيطها أساسه التمييز بين موقفين، موقف الهجوم الإسرائيلى، وموقف حرب قد تشنها الدول العربية.

فى الحالة الأولى فمما لاشك فيه أن إسرائيل سوف تجد نفسها فى حالة تفوق وبسبب، بصفة خاصة امتلاكها للقنبلة الذرية التكتيكية التى كما سبق ورأينا قلبت رأسا على عقب، جميع الموازين؛ الذى يعنينا فقط فى هذا الموضع من التحليل، هو الحرب المفاجئة التى قد تشنها الدول العربية.

ورغم أننا نقتصر فى هذه العجالة على تحديد موقع السلاح الصاروخى من الهجوم المباغت من الجانب العربى؛ لأن دراسة هذه الناحية واحتمالاتها سابقة لأوانها، إلا أننا يجب أن نذكر ببعض العناصر الأساسية المتعلقة بذلك الموقف، كما يتصورها الجانب الإسرائيلى.

الفكر العسكرى يتساءل: لماذا قد يحدث من الجانب العربى هجوم مباغت كما حدث فى عام 1973.

أسباب ثلاثة قد يبرر أى منها مثل ذلك الهجوم:

**الأول:** الإرادة العربية بشأن تدمير السلاح النووى المكندس فى إسرائيل، وما يعنيه من إمكانيات وبالسلاح التقليدى.

**الثانى:** الإدارة العراقية الانتقام من إسرائيل بسبب ضرب المفاعل النووى العراقى.

**الثالث:** الإرادة السورية فى استعادة الجولان.

**والأول أخطرهما وأهمهما** مما لاشك فيه، أن العالم العربى مهما قُدرت له من إمكانيات لن يستطيع أن يتوصل إلى المستوى القتالى الذى تملكه إسرائيل، بخصوص السلاح النووى، أضف إلى ذلك أن الترسانة الإسرائيلىة تحتوى من القنابل النووية المتوسطة الحجم على قرابة من (20 إلى 30 قنبلة)، تم تصنيعها وإعدادها قبل التوصل إلى القنبلة

النوية التكتيكية وإن إسرائيل أعدت نفسها لاستخدامها في حرب أكتوبر، وفعلاً كانت لديها الإرادة الحازمة في ذلك، لولا توقف الجيش المصري عن حدود معينة، ثم أعقب ذلك من أحداث أهمها الثغرة، وما ارتبط بها من حصار للجيش المصري، هذه أيضاً يجب تدميرها ومن العبث الانتظار حتى تكتمل للعالم العربي إرادة نووية.

**الثاني:** وهو المرتبط بالانتقام العراقي، الحساب بين بغداد وتل أبيب، يسمح بجميع الاحتمالات، خصوصاً وأن التهديد الإسرائيلي لم ينقطع، وما يحدث اليوم في لبنان قد يكون مؤشراً بهذا الخصوص، له دلالة ولكن القدرات العراقية الصاروخية وحدها لا تكفي، وما يمكن أن يخشاه المحلل هو أن التوريط العراقي في لبنان قد يكون وسيلة لاستئصال أو إضعاف حقيقي للقوة<sup>(1)</sup> العراقية، بحيث تفرض عليها معركة مباشرة بين الجيشين، لن تكون نتيجتها لصالح بغداد، الأمر الذي يجب أن يكون واضحاً في ذهن القيادات العسكرية العراقية، إن هناك فارقاً بين استخدام الصاروخ البعيد المدى كسلاح منفرد ومتميز، والنزول بالجيش إلى ميدان معركة عسكرية، حيث سوف يكون السلاح المستخدم بصفة أساسية هو السلاح الصاروخي القريب المدى.

**الثالثة:** أيضاً يجب إدخالها في الاحتمالات، سوريا في وضع لا تحسد عليه، فهي قد تورطت في لبنان، وهي لم تحقق شيئاً رغم مضي فترة خمسة عشر عاماً على حرب أكتوبر، خلافاً لمصر التي حققت الكثير، من حيث نتائج حرب الأيام الستة. ولكن في ظل القيادة الحالية السورية فإن هذا أيضاً احتمال بعيد التصور.

كيف يتعامل الفكر الإسرائيلي مع جميع هذه الاحتمالات؟

هذه الحقائق جميعها القيادة العسكرية الإسرائيلية على وعي بها، وهي لا بد وأن تخطط لمواجهةها، ولكن هل العالم العربي يعرف بذلك؟ هل يدرك بحقيقة قدراته وكيف أنه قادر على أن يهدد الوجود الإسرائيلي ذاته، دون الحديث عن إيقاف المخططات الصهيونية الرامية إلى التوسع في المنطقة؟

سؤال الإجابة عليه في حاجة إلى وقفة تأمل..))

obbeikandi.com

## المبحث الثالث

## التطوير الإسرائيلي للسلاح الصاروخي

تحت هذا العنوان كتب حامد ربيع:

«الجوهر الحقيقي لأى تعامل استراتيجى ينطلق من مبدئين كل منهما، يمثل الوجه الآخر لحقيقة واحدة، المبدأ الأول هو التقوية الذاتية، والمبدأ الثانى هو إضعاف الخصم. التقوية إلى أقصى مستوى، والإضعاف إلى حدوده القصوى، كلاهما يسلك طريقين يكمل كل منهما الآخر. التقوية تعنى إبراز ملامح القوة واستخدامها الاستخدام الأمثل، والإضعاف يعنى شل نواحي القصور وإحالتها إلى كم مهمل هذه العناصر التى تصير أساسية فى التعامل مع الذات، تنقلب بتوظيف مختلف مع العدو، بحيث يصير محور الاستراتيجية بها والتضخيم فى عناصر الضعف، بحيث تمثل كما أكثر مما تعبر عنه حقيقة.

وبعبارة أخرى، فإن أى استراتيجية حصيفة يجب أن تنطلق من حيث مضمونها فيما يتعلق بالتعامل مع الموقف من أربعة مبادئ، تكون نسيجاً متكاملأ لفلسفة الحركة.

أولاً: الإبراز والاستغلال الأمثل لعناصر القوة الذاتية، فالسياسة العسكرية الإسرائيلية - على سبيل المثال - تملك عنصرين هامين للقوة (الأول) القنبلة النووية التكتيكية (والثانى) التعاون الاستراتيجى مع الولايات المتحدة الأمريكية، هذان العنصران رغم أنهما ليسا أهم عناصر القوة فى الدولة الإسرائيلية، إلا أن التضخيم فى كليهما يزيد من خلق القناعة بقوة إسرائيل إلى درجة مبالغة.

فمما لاشك فيه أن القنبلة النووية التكتيكية عنصر قوة لا يستهان به، رغم ذلك فهو ليس أهم عنصر، ولكنه أكثرها صلاحية، للتضخيم، كذلك التحالف مع الولايات المتحدة فضلاً عن أنه يزيد من الهيبة، ويكثر من عناصر الصداقة، إلا أنه أيضاً يطرح موضوع الأسطول السادس وإمكانياته فى التعامل مع موضوع الصراع العربى الإسرائيلى.

ثانياً: ثم شل نواحي الضعف والقيام بعملية تمويه بخصوصها، إسرائيل ضعيفة استراتيجياً؛ بل هناك من عناصر الضعف ما هو قاتل، لقد سبق وذكرنا كيف أن أرض فلسطين التى تعيش عليها إسرائيل لم تكن فى أى مرحلة من مراحل التاريخ مصدراً

لقلقل، إنها مجرد معبر يجتازه القادمون من الشرق نحو أرض الحضارة في وادي النيل، أو يخترقه الفراعنة وأحفادهم، وهم يتجهون إلى الشرق العربي، ييثون في ربوعه الحضارة والمدنية، وهي كذلك معزولة تحيط بها البحار المتسعة، البحر الأبيض المتوسط لقرابة أربعة آلاف كيلو متراً غرباً، والبحر الأحمر بدوره يمتد إلى الجنوب ليجعلها مخنوقه بحريا كما هي مخنوقة برياً، بفضل حائط العداوة الذي يحيطها، ولكن إسرائيل بحنكة وذكاء استطاعت أن تشل عناصر الضعف، فهي أولاً كما سبق وذكرنا جعلت أحد أسس سياستها التعاون الاستراتيجي مع الولايات المتحدة، الأمر الذي مكنها من الاعتماد على الأسطول السادس للدفاع عن نفسها، ثم هي ثانياً خلقت مسالك متعددة للتعاون مع حلف الأطلنطي وصلت إلى حد تبادل المعلومات الأمنية، كذلك فإن علاقتها مع الحبشة ليست في حاجة إلى تفصيل، ويكفي أن نتذكر أنها تحتل وتستأجر على مدخل باب المندب قرابة ثمانين جزيرة صغيرة، قد وضعت فيها مراكز للمراقبة، وسلحت بعضها بحيث يستطيع في أي لحظة أن تغفل ذلك المدخل لحسابها، ورغم أن مصر تنبته لأهمية باب المندب قبل أن تنتبه له تل أبيب، وكان لذلك دور فعال في حرب أكتوبر، إلا أنها - حتى هذه اللحظة - لم تدرك مدى الضعف الاستراتيجي لإسرائيل في الجانب الآخر، أي البحر المتوسط، لو أن مصر استخدمت سلاح الضفادع البشرية في حرب أكتوبر بقدره معينة وهو في متناول يدها، لكانت قد استطاعت إلى حد معين أن تضع نزول السلاح الأمريكي الذي مكن إسرائيل من استيعاب الهزيمة بل وتحويلها إلى نوع من النصر في عام 1973.

### شل عناصر القوة:

ثالثاً: ثم شل عناصر القوة في الجانب المعادي، بحيث لا يستطيع أن ينتفع بها في قتاله العسكري، أو السياسي، فلو نظرنا إلى العسكرية الإسرائيلية لوجدنا أنها تطبق هذا المبدأ بوضوح، بل وطبقته في صورة صريحة قاطعة عام 1967. لقد كانت قوة الجانب العربي عنصر الإحاطة والحصار، حيث كانت الجبهات العربية ثلاثاً؛ ولو أن هذه الجبهات كانت تمثل درجة معينة من التناسق، لاستطاعت أن تمزق إسرائيل، يكفي بذلك الخصوص هجوم قوى في الشمال والشرق، يفرض على القوات الإسرائيلية تثبيتها في الجبهتين، مما يسمح للقوات المصرية اختراق صحراء النقب وشرط إسرائيل إلى قسمين، ثم يعقب ذلك اختراق آخر، عقب تثبيت القوات الإسرائيلية في الجبهة الجنوبية، والأخرى الشمالية من الضفة حتى القدس، فالبحر المتوسط الذي يعنى تجزئة إسرائيل إلى ثلاثة أقسام، ثم الدق على كل قسم منها على حدة لمواجهة ذلك، فجدد إسرائيل قررت الحرب الغاضفة المجهضة، واستطاعت أن تخلق الاضطراب المصغيف في الجبهة المصرية، ثم عقب أن قبضت على كل إرادة للتهدى في الجيش المصري، استدارت للجبهات الأخرى، ولعل هذا يؤكد مرة أخرى نقص الفكر الاستراتيجي العربي، بما في ذلك المصري، الذي لا يزال يهيمس بحالة استمرار مخيفة ومجزئة.

رابعاً: وأخيراً عملية تضخيم مبالغ فيها بقدر الإمكان، ولو من خلال الحرب النفسية التي تتجه إلى العدو المقاتل، المجتمع العربي كإى مجتمع آخر ممتلىء بنواحي النقص، ولكن هل هي قاتلة؟ هل فقط هذا المجتمع هو الممتلىء بالنقائص.

الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية استطاعت بدهاء، لا يمكن التشكيك في عمقه وقدراته - أن تكشف هذه النواحي وتتعامل معها بفاعلية، لانستطيع أن نشكك في نجاحها، ولنتذكر على سبيل المثال سلاح المخدرات. فالمجتمع المصرى عرف نوعاً معيناً من المخدرات، وتعامل معه خلال فترة طويلة من تاريخه ولكنه عرف نوعية ليست خطيرة، وهى منتشرة في طبقات معينة وفئات محددة تتميز بأنها منغلقة اجتماعياً. إسرائيل فهمت ذلك ومدى ما يستطيع أن يقدمه لها من إمكانيات، وخلال فترة لم تتجاوز عشرة أعوام، أحالت مصر إلى مجتمع يعيش وينهل من هذا النبع(\*) فى أسوأ نماذجه وأكثرها خطورة. هذه المبادئ تسيطر على الفكر العسكرى الاستراتيجى الإسرائيلى، كيف يتم ذلك بصدد الأسلحة الثلاث التي سبق وحددنا خصائصها؟

هذا هو السؤال الذى نتصدى له فى هذه الصفحات.

### القلق فى الفكر العسكرى الإسرائيلى والسلاح الصاروخى العربى:

هذا السلاح هو مصدر زعر حقيقى فى الفكر العسكرى الإسرائيلى، أحد أهم بنود القلق فى الإدراك القتالى اليهودى، هو السلاح الصاروخى. لقد سبق أن رأينا أن ميلاد المجتمع الجماهيرى، بمعنى الأمة المقاتلة، هو العنصر الثانى. وكلاهما يرتبط بالآخر. والفكر العسكرى الإسرائيلى لذلك يعدُّه لمواجهة كلا المتغيرين بديناميكية معينة. الأول هو الذى يعيننا مؤقتاً.

والأسباب التى تخلق ذلك القلق وتفرض المواجهة عديدة:

**أولاً:** فإسرائيل دولة صغيرة محدودة المساحة، ومن ثم فإن هجوماً صاروخياً منسقاً وبصفة خاصة. من الأردن وسوريا، تساندهما مصر والعراق والسعودية بالصواريخ المتوسطة والبعيدة المدى، يستطيع أن يصيب جميع القواعد الاستراتيجية فى إسرائيل دفعة واحدة.

**ثانياً:** وسكان إسرائيل يقيمون فى مثلث محدود بين القدس وتل أبيب، ويافا، حيث - أيضاً - جميع القدرات الصناعية للدولة تقريباً تتواجد قرب هذا المثلث بكثافة معينة يعنى القضاء فى عناصر التماسك المدنى، فضلاً عن سهولة تدمير جميع مرافق الحياة المدنية والصناعية التى تمثل الحائط الذى يجب أن يستند إليه القطاع العسكرى.

**ثالثاً:** توفر السلاح الصاروخى بكثرة لدى الدول العربية المجاورة، يسمح لهذه الدول

بالقيام بهجوم ساحق مجهض، الأمر الذي يجعل إسرائيل تدخل الحرب وهي قد فقدت مقدماً جميع عناصر قوتها، خصوصاً فيما يتعلق بالتعبئة؛ لأن إسرائيل تعتمد على جيشها الاحتياطي، وهجوم مُركَّز ومنسق صاروخي سوف يؤخر، إن لم يعطل عملية التجميع لقواتها العسكرية، وهذه في ذاتها ضربة قاتلة بالنسبة للأداة المقاتلة الإسرائيلية.

**رابعاً:** بل إن هجوماً بهذا المعنى، يمكن أن يقطع كل علاقات إسرائيل بالخارج، ونحن نعلم أن أي خطة دفاعية لإسرائيل، لا بد وأن تستند إلى سهولة الاتصال من خلال موانئها بشرق البحر المتوسط، هجوم مُركَّز على تلك الموانئ سوف يفرض على إسرائيل نوعاً من العزلة القاتلة.

بطبيعة الحال لا يكفي الهجوم الصاروخي بذلك الخصوص، ولكنه كما سوف نرى فيما بعد في تخطيط المعركة القتالية، فإن هذا يصير العنصر الأساسي الذي يجب أن يأتي فيكملة سلاح الضفادع البشرية.

ولكن هذا موضوع آخر، أضف أيضاً ما تسمح به الانتفاضة من إمكانيات الناحية التي يجب أن نؤكد عليها، هو الدور الخطير الذي يستطيع أن يلعبه الصاروخ في هذا الهجوم المحتمل، كذلك يجب أن نلاحظ خطورة مثل هذه العملية، سواء على تموين إسرائيل بالسلاح أثناء الحرب، أو على علاقة المساندة من جانب الأسطول السادس الأمريكي في البحر الأبيض المتوسط، لو استخدم مثل هذا السلاح من منطلق هذا التصور أثناء حرب أكتوبر، لما كانت إسرائيل استطاعت أن تنفذ نفسها من الضربة القاتلة التي أصابتها على ضفاف قناة السويس.

**خامساً:** وأخيراً فإن موقف إسرائيل بسبب مشكلتها الديموجرافية حساس، من حيث الخسائر البشرية، والذي نعلمه من خبرة حرب الخليج، أن كل صاروخ يقتل في المتوسط من (خمسة عشر إلى عشرين شخصاً) ودون استخدام سواء السلاح الكيميائي أو السلاح البيولوجي، وهذا يعني أن ألف صاروخ من الجانب العربي سوف يقضى على عشرين ألف إسرائيلي دون الأخذ بالاعتبار أن إسرائيل تتمركز كثافتها السكانية في بقعة محدودة وضيقة، الأمر الذي يزيد من احتمالات الخسارة على الأقل بنسبة 50٪، ومن ثم فإن عدد القتلى في هجمة واحدة مكثفة يمكن أن يصل إلى (ثلاثين ألف مستوطن) باستخدام فقط السلاح الصاروخي من جانب الدول المحيطة بإسرائيل، أي سوريا والأردن ومصر ونحن نتحدث فقط عن الصاروخ القصير المدى، وهذا يعني أن استخدام هذا السلاح ضد إسرائيل سوف يعرضها لخسائر لا حصر لها، ربع هذا القدر من القتلى أكبر مما خسرت إسرائيل في جميع حروبها منذ إنشائها حتى اليوم.

## الصواريخ .. والديموجرافيا:

هذا السلاح الصاروخي يملك مزايا أخرى، ترتبط بالمشكلة الديموجرافية فى إسرائيل:

1 - فمن الممكن أن تتم هذه العملية خلال عدة أيام قليلة، بل وخلال عدة ساعات متتالية، لو تم توزيع المصاطب المعدة لإطلاق الصواريخ. إن خمسين مصطبة قادرة على أن تُطلق بمعدل عشرة صواريخ يومياً، أى عشرين صاروخاً خلال يومين، ومن ثم فهى قادرة على إطلاق ألف صاروخ فى فترة لن تتجاوز (خمسين ساعة)، المصاطب المعدة لإطلاق الصواريخ القصيرة المدى، كما سبق وذكرنا يمكن تنقلها بسهولة من موقع إلى آخر عقب إطلاق الصاروخ مباشرة، الأمر الذى يجعل من رد الفعل من الجانب الإسرائيلى أمراً محدود الفاعلية، فلنتصور ما يمكن أن يترتب على مثل ذلك الهجوم من فوضى فى داخل إسرائيل أيضاً بخصوص الإسعافات الطبيعية السريعة.

2 - مثل هذا الهجوم يصير كارثة حقيقية، خصوصاً لو اقترن بهذا الهجوم المكثف بالصاروخ القصير المدى، هجوم آخر ولو بعدد محدود بالصواريخ البعيدة المدى من جانب - على الأقل - العراق دون الحديث عن إمكانات السعودية ومصر.

3 - وعلينا أن نتذكر أن السلاح الصاروخي لا يتضمن قتالاً مباشراً، أى بين طرفين متماسكين وجهاً لوجه، وهكذا فإن السلاح الصاروخي يسمح بتجاوز هوة التفوق البشرى الإسرائيلى حتى إن وجدت ومهما وجدت.

4 - كذلك فإن السلاح الصاروخي يصيب الهدف المتجه إليه دون أن يعرض المصدر له بأية نتائج مباشرة، إلا إذا حدث تبادل لإطلاق الصواريخ، وفى هذه الحالة نلاحظ أيضاً كيف أن إسرائيل سوف تصير فى موقف الضعف لسببين، من جانب بسبب حدودها التى تتميز بقصرها. ومن جانب آخر بسبب الكم البشرى فى مواجهة الدول العربية المحيطة بها. بمعنى آخر فإطلاق كم متساو من الصواريخ من الجانبين لن يحدث أثراً متساوية. لتستطيع إسرائيل أن تصل إلى إحداث نفس الآثار فى الجانب الغربى، من حيث التدمير والقتل، وخلق الارتباك فى الأداة القاتلة، فهى فى حاجة إلى إطلاق عدد يمثل ثلاثة أمثال العدد من الصواريخ الذى تطلقه الدول العربية.

## السلاح الصاروخي ونتائج انتشاره فى العالم العربى والفكر العسكرى الإسرائيلى:

انتشار السلاح الصاروخي لدى الدول العربية وتدعيمها بأسلحة أخرى جانبية تقوى من فاعلية السلاح الصاروخي، كالقنابل العنقودية أو الرؤوس المحملة بالقنابل الجرثومية، أو الكيماوية هو عنصر القوة الحقيقى فى الجانب العربى، وهو موضع التفكير المستمر فى

الإدراك الإسرائيلي. وقد استطاعت الدبلوماسية الصهيونية أن تضع من حيث الواقع قيوداً حقيقية على إمكانيات التعاون مع الدول المتقدمة والصناعية، بشأن التعاون مع الدول العربية بخصوص الحصول على هذا السلاح أو تصنيعه محلياً.

ورغم أن الدول العربية تجاوزت هذا الحصار، بالالتجاء إلى بعض دول العالم الثالث المتقدمة في هذه الصناعة، مستغلة حاجة هذه الدول إلى السيولة النقدية، ورغم أن الاتحاد السوفيتي قدم بدوره بعض المساعدات الجادة في هذا النطاق.

إلا أن مستوى السلاح الصاروخي الذي تحصل عليه إسرائيل أو تُصنّعه أكثر قدرة وأكثر كفاءة من مستوى السلاح الصاروخي المتوفر لدى أغلب الدول العربية.

ولكن هذا لا يكفي إسرائيل، ففي حرب مفاجئة من الجانب العربي، هذا العنصر للتفوق لن تكون له قيمة، موضع تأثيره الحقيقي لو حصلت حرب يتبادل فيه الطرفان التعامل الصاروخي دون مفاجئة بالقتال من الجانب العربي.

على أن الفكر العسكري الإسرائيلي لا يقف عند هذا الحد. إنه يضع لنفسه مجموعة من الخيارات كل منها يملك خصائصه:

1 - أول هذه الخيارات اتخاذ إجراءات جديّة محورها الحقيقي تدمير بطاريات الصواريخ العربية، هو ما سبق وأعلنه الجانب الإسرائيلي، بتهديد صريح واضح مع المملكة العربية السعودية، ويقال: إن الولايات المتحدة هي التي تدخلت بحزم في واجهة هذا التهديد. على أن هذا الإجراء الذي قد يبدو لأول وهلة سهل التنفيذ، يفترض معلومات دقيقة من جانب، وعمليات عسكرية ومنتعدة من جانب آخر، بما في ذلك عمليات إنزال وما تعنيه من استعادة القوات التي أنزلت حتى تضمن إسرائيل نجاحها تدمير مفاعل نووي أسهل بكثير، فضلاً عن أن نتائجه حاسمة أما بالنسبة للصواريخ، فكما سبق وذكرنا فهي تتميز بأنها متنقلة يسهل إخفاؤها، فضلاً عن أن انتشارها يثير مشاكل أخرى.

2 - كذلك إن الفكر العسكري الإسرائيلي، تصور إمكانية القيام بهجمات مكثفة ضد الأهداف الاقتصادية والصناعية العربية، هذا الإجراء أكثر سهولة، ولكنه أفدحها من حيث النتائج، لأنه من حيث جوهره يعني حرباً مجهضة وبعبارة أخرى، لا يمكن فصله عن عملية شن قتال واسع النطاق مع الدول العربية التي تمثل خط الهجوم المحاصر لـ «إسرائيل».

إسرائيل تستعد لمثل هذه الحرب ولكنها تعلم أن هذه الحرب أيضاً في حاجة لإعداد معين، بالنسبة للإطار الدولي الإقليمي والداخلي، وهو أمر لم يكتمل بعد، وفي حاجة إلى فترة معينة وبصفة خاصة بسبب الاضطراب الداخلي في الدولة العبرية.

3 - تنظيم دفاع مدني شامل لحماية السكان، وهو أمر مهما تقدم فلا يمكن أن يحقق

سوى أهداف جزئية، فهو لم يمنع من احتمالات التدمير، ولن يمنع من قتل من يصاب من جانب الصواريخ، وتدمير ما يقع فى دائرة تلك الصواريخ، كل ما يمكن أن يحدث هو الحماية من السلاح الكيميائى والجرثومى من جانب، وتقوية إرادة المواجهة من جانب آخر.

4 - تطوير صاروخ مضاد للصواريخ، وهذا هو السلاح الحقيقى الذى يمثل المحور الذى تدور حوله نظرية القتال فى الإدراك العسكرى الإسرائيلى. كيف؟

### عملية تطوير نظام «إسرائيلى» مضاد للصواريخ العربية:

الصاروخ الذى علا فى الفترة الأخيرة فى تل أبيب، والذى تجاوزت معه واشنطن، والذى انتهى بالقبض على مصريين بتهمة التجسس، والحصول على معلومات، ومواد استراتيجية ترتبط بتصنيع الصواريخ، وأعقبها التخلص من وزير الدفاع المصرى، لايمع من أن إسرائيل هى التى أدخلت السلاح الصاروخى فى المنطقة، وأنها هى التى تتعاون مع الصين فى تطوير هذا السلاح، والتى قد يصير فى المعركة القادمة بين العرب وإسرائيل هو السلاح الحاسم، والذى قد يغير جذريا من خريطة الصراع الدولى فى منطقة الشرق الأوسط.

فلنتابع تطور السياسة الإسرائيلية بصدد السلاح الصاروخى:

أ - فإسرائيل هى التى أدخلت الصواريخ فى المنطقة، فرغم المزايم التى خرجت من القاهرة لم تستطع مصر أن تحيل برنامجها الصاروخى إلى حقيقة فعالة فى الاتجاه إلى التسليح الصاروخى، كما أثبتت الأحداث على أنه سلاح الغد، فإنه لم يثبت فعالية حقيقية فيما يتعلق باختيار القائمين على المشروع.

إسرائيل على العكس ومنذ عام 1968 كانت تملك فعلاً صاروخاً [أريحا - 1] الذى تم تصميمه وتنفيذه بتعاون سرى مع فرنسا، وبينما كان ديغول يعلن فى مايو 1967 أن من يبدأ الحرب لن يكون إلا موضع نقد وتأييب من باريس، وأوقع بذلك جمال عبد الناصر فى الخديعة التى كلفت مصر غالباً، كانت جميع السلطات الفرنسية تعمل بجد ودأب، لتمكن تل أبيب من أن تملك أقوى سلاح فى الترسانة الإسرائيلية. هذا الصاروخ [أريحا - 1] هو صاروخ متوسط المدى، يبلغ مرمى إصابته إلى ما يقرب من (أربعمائة كيلو متراً) عقب ذلك بعدة أعوام، وقبل حرب أكتوبر كانت إسرائيل قد حصلت من الولايات المتحدة على صواريخ [لانس] التى تصل إلى (130 كيلو متراً) وقد استخدمت الصواريخ فى حرب أكتوبر على نطاق ضيق، على أن مصر كانت تملك بدورها عدداً محدوداً جداً من الصواريخ (بحر - بحر) وقد استخدمت أحدها فى تدمير الباخرة إيلات، والواقع أن إسرائيل فى تلك الفترة بدورها كانت قد بدأت تكثف تجاربها على هذا النوع من الصواريخ (بحر - بحر) عقب خبرة المدمرة إيلات، ولتستطيع بها تعويض النقص الواضح

فى الأسطول البحرى الإسرائيلى خلال تلك الفترة، فإن التعاون بين إسرائيل وكثير من دول العالم الثالث فى هذا النطاق كان مكثفاً، فهى تتعاون على قدم وساق مع إيران وتايوان دون أن ننسى دولة اتحاد جنوب إفريقيا، على أن التعاون برز عقب ذلك مع الصين والواقع أنه رغم عدم وجود علاقات دبلوماسية بين بكين وتل أبيب، فإن الجانبين قد أقاما شبكة حقيقية للتعاون الفعلى منذ منتصف الثمانينات، فى نواح عديدة منها - على وجه الخصوص - السلاح الصاروخى كان للطرفين أهدافها. الصين ترى أن هذا التعاون بابا خلفيا للحصول على التقنية الأمريكية، وتل أبيب تعتبر هذا مصدراً أساسياً للحصول على مزيد من القدرة الاقتصادية، هذا التعاون هو الذى أنتج الصاروخ، [أريحا - 2] والذى أطلقته إسرائيل فى يوليه 1987 وقد أثار هذا الصاروخ عدة ردود فعل يجب تسجيلها:

1 - أول ما أثاره أنه يصل من حيث مداه إلى (ألف ميل) أى أنه يغطى جميع دول المواجهة العربية، بل ويصل ليس فقط إلى طهران، بل كذلك إلى جنوب الاتحاد السوفيتى.

2 - إن هذا الصاروخ أنفق عليه من جانب إيران، وتم بالتعاون مع الصين، ويعلم بل وتشجيع من جانب الولايات المتحدة.

3 - إن أول من شعُر بالقلق نتيجة لهذا الصاروخ هو الاتحاد السوفيتى، بل وعلقت على ذلك الدوائر المسؤولة بلغة وعبارات صريحة وقاسية.

4 - إنه ارتبط بهذا الصاروخ حدثان، كلاهما يجب أن يكون موضع تساؤل:

أولاً: وهو الاتفاق بين واشنطن وموسكو على إلغاء إنتاج الصواريخ متوسطة المدى، وهذا الصاروخ يدخل فى هذه الدائرة.

ثانياً: وهو امتناع موسكو عن تزويد كل من دمشق وبغداد بصواريخ [أس - اس 23] المتقدمة والدقيقة التى تعهدت موسكو بوقف إنتاجها.

ب - فى هذا الإطار وتحت تأثير الأحداث والتوقعات السابق ذكرها فى المنطقة العربية، برزت نظرية الأمن القومى الإسرائيلى، فى بُعدٍ جديد، ففى صياغتها المعاصرة فى بيانها العسكرى، تبنت القيادات الإسرائيلية القول بأن انتشار الأسلحة الصاروخية والكماوية المتطورة فى الدول العربية، أضحت تمثل خطراً استراتيجياً يجب التعامل معه بجدية وحذر.

أسباب ذلك فى الفكر العسكرى الإسرائيلى عديدة:

أولاً: أن السلاح الصاروخى سلاح هجومى.

ثانياً: أن السلاح الصاروخى يمكن أن يهدد الخيار النووى الإسرائيلى.

**ثالثاً:** أن هذا السلاح خطر مستقبلاً على القوات الأمريكية المرابطة، أو التي يمكن أن تتواجد في منطقة الشرق الأوسط.

وهذا أوجد التلاحم بين نظرية الحرب الإسرائيلية، ومفهوم الأمن القومي الأمريكي.

ج - هذه المقدمات هي التي قادت إلى طرح موضوع تطوير نظام إسرائيلي مضاد للصواريخ.

**ما معنى ذلك:**

معنى ذلك: بناء نظام يستطيع أن يصطاد الصاروخ وهو في طريقه إلى الهدف، فيقضى عليه قبل أن يصل إلى مرماه بفترة ومسافة كافية، هذا النظام الذي استطاعت تل أبيب أن تُقنَع واشنطن بجدواه، لا يزال في حيز الدراسة، ولكنه من المتوقع أن يصير فاعلاً في القريب العاجل، فهو أولاً كان موضوع تفاوض بين الطرفين الأمريكي والإسرائيلي، وقد تعهدت الولايات المتحدة أن تتولى الإنفاق عليه في حدود 80٪ من تكاليفه، بل واعتبرته جزءاً من ذلك الذي يُسمى «مبادرة الدفاع الاستراتيجي» والثابت أن إسرائيل تعمل في نطاق هذا الموضوع من حيث الأبحاث المكثفة منذ عام 1983 عندما حصلت سوريا على بعض الصواريخ السوفيتية [اس - اس 21] وهي المعروفة بدقة تصويبها، وهناك تعاون بين إسرائيل وحلف الأطلسي بهذا الخصوص، بل وعلى درجة عالية من التقدم.

**مزايا هذا النظام مزدوجة:**

**أولاً:** إنه يستطيع اصطياد أو بعبارة أخرى أكثر دقة اعتراض أى صاروخ في حدود (مائة ميل).

**ثانياً:** إنه قادر على إطلاق وقذف نوع معين من الذرات في اتجاه الصاروخ بحيث يعطل رؤوسها الحربية قبل أن تصل إلى الهدف.

وهناك من يتحدث عن إمكانية هذا النظام، في تفجير الصاروخ، أثناء انطلاقه وهو في الجو على بعد معين من محطة إطلاقه، وفي حدود مكانية معينة، وهذا يعني أنه يقلب الموازين، بحيث تصير المزايا التي يقدمها الصاروخ لمن يطلقه وبالإضافة إليه، بمعنى أنه قد يسمح بتفجير الصاروخ في نفس الأرض المعادية التي انطلق منها، رغم ذلك فيجب أن نسجل ملاحظتين.

**الملاحظة الأولى:** أن كل ما يقال عن تطوير صاروخ مضاد لا يزال في حيز الأسرار التي لم تكشف عنها الكتابات المتخصصة.

**الملاحظة الثانية:** أن هذا التطور في بناء نظام يسمح باصطياد الصواريخ أثناء

عبورها الجو الإقليمي، محدود الفاعلية، إن لم يكن لا فاعلية له بالنسبة للصواريخ القصيرة المدى بسبب قصر الفترة التي تضى بين إطلاقه وإصابته للهدف المقصود، ومن ثم فإنه لا يزال الاختلال لصالح القدرة العربية قائم ولو في حدود معينة.

### المعركة القادمة وملامحها الأساسية من الجانب الإسرائيلي:

والخلاصة: إن ملامح المعركة القادمة التي يجب أن تشنها إسرائيل على الجانب العربي تتميز بالخصائص التالية:

**أولاً:** سوف تكون حرباً هجومية مفاجئة سريعة، بحيث يستطيع الجانب العربي أن يتمتع بمميزته، بفضل السلاح الصاروخي وبحيث فى وثبة خاطفة تستطيع تدمير هذه الصواريخ أو على الأقل جزء كثير منها، وبصفة خاصة الصواريخ البعيدة والمتوسطة المدى.

**ثانياً:** سوف تستخدم السلاح الكيميائي والجرثومي فى خلق الفوضى والقضاء على الإرادة المقاتلة بالنسبة للدول المحيطة بـ «إسرائيل» مباشرة وعلى وجه التحديد سوريا والأردن ولبنان ومصر.

**ثالثاً:** وسوف تستخدم القنبلة النووية التكتيكية، فيما هو أبعد من ذلك - وبصفة خاصة لإصابة أربعة أهداف أساسية فى العراق، منطقة الموصل وفى الخليج مضيق هرمز وفى وادى النيل السد العالى وفى ليبيا منطقة طرابلس.

تفصيل ذلك فى حاجة إلى تحليل أكثر تفصيلاً من مجرد التعامل مع الاستراتيجية القتالية، على أننا قبل أن نتناول ذلك، علينا أن نتساءل ومتى تفكر إسرائيل فى تحقيق مثل هذه الخطة؟ سؤال آخر لابد وأن يقودنا إلى السلاح الرابع والذى تحتويه الترسانة الإسرائيلية وهو السلاح البحرى.»